

الآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على تذبذب منسوب النيل

فى العصر الفاطمى

د. يمنى رضوان / استاذ التاريخ الإسلامى المساعد - آداب الفيوم

تكشف لنا هذه الدراسة أن حد وفاء النيل لم يكن ثابتاً بل دليل قول القلقشندى "علت الأرض مما يرسب عليها من الطين المحمول مع الماء فى كل سنة" ومن خلال هذه العبارة يتضح لنا سبب عدم ثبات درجة وفاء النيل . فأحياناً يكون اثنى عشر ذراعاً وأحياناً ستة عشر ذراعاً ، وأحياناً ثمانية عشر ذراعاً .

ويكشف لنا تذبذب منسوب النيل ، خاصة فى حالة الانخفاض ، عن سلوك اجتماعى يتعلق بمعاش المصريين وحياتهم ، وهو إسراعهم إلى التصدق ونذر النذور عند انخفاض منسوب النيل. كما يكشف ارتفاعه عن حالة من الحركة فى المكان ، فقد كان المصريون ينتقلون بين القرى بالزوارق حال زيادة منسوب النيل .

كما يكشف البحث عن أهمية نظافة قاع المقياس بالنسبة للفاطميين ، وأنها لاتقل عن أهمية مهمة قراءة منسوب مياه النيل ، وذلك لوجود رابط مشترك بين المهمتين . فإذا أهمل نظافة قاع ومجارى مقياس النيل ، وحدث سدد فى هذه المجارى تأثرت قراءة المقياس ، لهذا السبب استحدث الفاطميون أجراً إضافياً للمشرف على المقياس قدره خمسون ديناراً سنوياً للاهتمام بنظافة قاع مقياس النيل .

وبعد منع النداء على النيل حتى يصل حد الوفاء من المستحدثات التى أدخلها الخليفة المعز للحفاظ على استقرار الحالة الاقتصادية فى مصر، وهو مايكشف عن تأثير مباشر لتذبذب منسوب النيل باستقرار البلاد وأمنها، وذلك على عكس ماكان يحدث قبل ذلك ، فكان ينادى يومياً على مستوى نهر النيل .

ومن الأساليب التى استخدمها الفاطميون للقضاء على الأزمات الاقتصادية الناجمة عن تذبذب منسوب النيل ، وبخاصة فى حال انخفاضه ، تعيين محتسب يتميز بالشدة والصرامة ، وتنفيذ عقوبة الضرب والتشهير لمحتكرى السلع ، وتشديد المراقبة على تجار القمح والغلل ، وذلك حتى لا يتم التلاعب فى الأسعار. وكذلك تجديد جسور النيل والقناطر. كما كانت الدولة تقترض من التجار، و تصدر من تريد مصادرتة بدون وجه حق ، وذلك عند حدوث أزمات اقتصادية.

- أيضاً بلغ من سوء الحالة الاقتصادية أن أساء بعض موظفي الدولة إدارة أعمالهم المكلفين بها مثل متولى الصناعة كما رأينا في حادثة الغريق - وذلك لزيادة موارد الدولة .

والله ولي التوفيق
